

الصراع اللغوي في أرخبيل الملايو ما بعد الاستعمار الأوربي

وضعية اللغة الملايوية والعربية 133

أ. حنفي دوله الحاج ♥

د. زاليكا آدم

د. ناصر يوسف

الح. الإسلامية العالمية ماليزيا

تاريخ الإرسال: 2018-01-10 تاريخ القبول: 2018-05-16

ملخص البحث: يروم هذا البحث تقديم دراسة تحليلية تأصيلية حول صمود اللغة العربية في وجه الصراع اللغوي الحاصل في عالم الملايو؛ إذ انبثقت منه أزمة لغوية وسياسية واجتماعية متفاقمة. لقد ظلت منطقة الملايو لفترة طويلة جدًا تعاني من ويلات الاستعمار الأوربي، الإسباني والبرتغالي والهولندي والبريطاني، علاوة على أن واقع الصراع اللغوي الخطير استنزف قواها المعنوية والمادية، فكاد يأتي على اللغة العربية من القواعد بما فيها هوية المواطنين الملايويين المسلمين وثقافتهم المحلية المتشعبة باللغة العربية التي استقرت فيها منذ قرون عديدة. كما وأن مثل هذه الموضوعات لم تحظ باهتمام الباحثين العرب والملايويين على مستوى الأبحاث العلمية والمؤتمرات والمنتديات على الرغم من خطورتها وضرورتها. ومن ثم فإن هذا البحث يبرز مواقف تاريخية في حياة الملايويين المسلمين ومدى عشقهم المتفاني للغة العربية مما أدى بهم إلى الدفاع المستميت عن

♥ norasjp17@gmail.com

اللغة العربية، كما يفضح مزاعم الاستعمار الأوربي تجاه اللغة العربية وإزالتها من نفوس الملايويين وعقولهم باسم التقدم والتحضُّر. تقترح هذه الدراسة، أيضاً، آليات للدفاع عن اللغة العربية بعالم الملايو استناداً إلى مبادئ التخطيط اللغوي السليمة.

تمهيد: اشتهر عالم الملايو سابقاً باسم أرخبيل الملايو (Malay Archipelago) وهي منطقة حضارية مهمة كبرى بجنوب شرقي آسيا الغنية بالثروات الطبيعية. لقد نشأت في هذه المنطقة إمبراطوريات ملايوية إسلامية عديدة، ويقطنها حالياً ما لا يقل عن 230 مليوناً من الملايويين المسلمين وخدمهم، بوصفهم أغلبية في بعض الدول مثل: ماليزيا، وإندونيسيا، وسلطنة بروناي دار السلام، علاوة على أقليّات ملايوية في دول أخرى، منها: تايلاند، والفلبين، وسنغافورة. أيضاً تقطن هذه المنطقة أمم وشعوب من غير المسلمين من التايلنديين والفلبينيين وغيرهم من أصحاب الديانات الوثنيّة المختلفة الناطقة بلغات محلية متنوّعة. وكما هو معلوم يعيش المسلمون الناطقون باللغة الملايوية الغنيّة بالتقافة العربية في عالم الملايو وقد اتخذوا، ولوقت طويل من الحروف العربية "الجاويّة" وسيلة للتأليف والكتابة من أجل تدوين لغتهم الشفاهية. كما يهتم هذا البحث بالحديث المباشر عن معالم صمود اللغة العربية ومظاهره متمثلاً في إبراز جهود الملايويين المسلمين ومواقفهم القوية وحبّهم الكامل للغة العربية في مواجهة الصراع اللغوي المفروض على عالم الملايو.

أولاً: طبيعة الصراع اللغوي بعالم الملايو ومظاهرة

تتدرج أبحاث الصراع اللغوي تحت مجال علم اللغة الاجتماعي، وهو مجال يبحث في صراع اللغات، وبيان طبيعته وأسبابه ونتائجه وخطورته على المجتمع اللغوي في العالم. إن الصراع اللغوي بات ظاهرة عالمية شملت اللغات والشعوب جميعاً وازدادت فاعليته وحدّته في عصر العولمة لا سيما في ظل التطورات الهائلة في مجالات الاتصالات والمواصلات والتعايش. وقد ذهب إلى تقرير هذا الواقع

الخطير معظم العلماء في علم اللغة الاجتماعي من أمثال: على وافي، ونهاد الموسى وهوجين (Heugen)، ونيوستبني (Neustupny). (J.) وعلى صعيد الأبحاث العربية فقد مسّت الظاهرة اللغوية الاجتماعية اهتمام الباحثين العرب فعنوا بالحديث المباشر عن صراع اللغات، كما نحتوا المصطلحات ذات الصلة بالصراع اللغوي ونتائجها منها: الغلبة اللغوية، والازدواجية، والثنائية، والتعريب والترجمة، والاندماج، وما إلى ذلك. وبات من الواضح أن التخطيط اللغوي الحالي في عالم الملايو يتشابك تلقائياً بتلك القوة اللغوية المتصارعة في عصرنا كما حدث في آفاق أخرى من العالم، وهما: السلطة الاقتصادية التي تميل إلى اللغات العالمية مثل اللغة الإنجليزية أكثر من اللغة الوطنية، والسلطات الثقافية والدينية والسياسية التي تتسبب في الصراعات بين اللغة الوطنية واللغات العرقية¹ في المناطق ذات المشكلات في تلك البلاد.² وقد أقرّ الخبراء واللغويون العالميون والمحليون أنّ معظم الدول في جنوب شرقي آسيا أو أرخبيل الملايو التي يقطنها المسلمون الناطقون باللغة الملايوية الغنيّة بالثقافة العربية الإسلامية، تعاني أزمة لغوية قد تؤدّي بدورها إلى أزمة سياسية حساسة يمكنها أن تقضي على الهوية الملايوية وثقافتها.

1. وضعية اللغة الملايوية في ظل الاستعمار الأوربي لأرخبيل الملايو: تعدد

مجموعة اللغات الملايوية الأصيلة (Classical Malay) المستخدمة لغة قومية لمملكات وسلطنات عديدة في أرخبيل الملايو، سواء في جزر إندونيسيا أم بورنيو (Borneo) أم مينداناو (Mindanao) أم شبه جزيرة ملايو أم فطاني. وقد استقر وضع هذه اللغات مع اكتمال الحضارة التي قامت في مملكة بروناي دار السلام ومملكة فطاني دار السلام، وإمبراطوريات ملايوية عديدة في أرخبيل الملايو منها: إمبراطورية آتشيه (Acheh) وإمبراطورية ملاكا (Malacca) الإسلاميتين وإمبراطورية جاوه (Jawa)³. وقد وصف المستشرق ميس (Mees) اللغة الملايوية بأنها لغة غنية بالثقافة والآداب والمبادئ الإسلامية العربية.⁴ حيث تنتمي

هذه اللغة إلى فصيلة اللغات الأسترونيسية (Austronesia) التي تنتشر بشكل واسع في أرخبيل الملايو في جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي.⁵ وهي لغة تتميز باعتمادها الكبير على الإلصاق (Affixe) في بناء الكلمات وتبيان وظيفة الكلمات النحوية في الجملة، وتبنى ألفاظها من مادة أصلية تتألف من مقطع أو أكثر تبقى ثابتة، ويستعان بها لتنوع الصيغ الصرفية بزوائد مقطعية تلتصق بالمادة الأصلية على صورة مورفيمات مقيّدة (Bounding morphemes)، وعلى صورة سوابق (Prefixes) أو لواحق (Suffixes) وغيرهما.⁶

وقد كتبت اللغة الملايوية بالحروف العربية المعدّلة المعروفة "بالحروف الجاوية" بوصفها كتابة رسمية لـ: "إمبراطورية ملاكا الملايوية" (1402-1511م) والمملكات العديدة، والسلطنات المنتشرة في شبه الجزيرة الملايوية والجزر المجاورة، كما استخدمت بوصفها لغة دبلوماسية وتجارية وسياحية وإدارية. وبدأت نقطة التحول عندما جاء المستعمرون الأوروبيون إلى تلك المنطقة ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي؛ ما جعل اللغة الملايوية تعاني من الغزو الفكري اللغوي المبرمج منذ أوّل يوم لاحتلال المنطقة.

2. مكانة اللغة العربية في أرخبيل الملايو: من الجدير بالذكر أن اللغة العربية التي انتشرت مع انتشار الدعوة الإسلامية كان لها مكانة خاصة لدى الملايويين وكانت مملكة بروناي دار السلام تهتم باللغة العربية في جميع المجالات الدينية والتربوية الإسلامية. وقد قررت حكومة بروناي في دستورها سنة 1959م بأن الدين الرسمي لهذا البلد هو الإسلام. وانطلاقاً من هذا الإقرار خطت البرامج العديدة لتطوير شعار الإسلام في هذا البلد، فظهرت المدارس والمعاهد والكليات الدينية التي تدرّس هذه اللغة العربية والمواد الدينية إلى جانب المواد الأكاديمية كالعلوم والجغرافيا والحساب والتاريخ التي تدرّس باللغة الملايوية واللغة الإنجليزية.⁷ علماً أن هذه المملكة العريقة هي المملكة الوحيدة التي ما تزال تستخدم الحروف العربية المعدّلة المعروفة "بالحروف الجاوية" (Huruf Jawi) بوصفها كتابة

رسمية فريدة ظلت قائمة منذ الأيام الأولى لقيام مملكة بروناي دار السلام إلى الآن. أما في إندونيسيا التي يبلغ عدد المسلمين 91% من سكانها، فإن العلاقة بين هذه اللغة والإندونيسيين في المقام الأول هي علاقة دينية. كما وأنهم يفضلون هذه اللغة ويستفيدون منها في فهم التعاليم الإسلامية، وتوجد فيها مدارس كثيرة جداً لا تهتم إلا باللغة العربية.⁸ فقد كانت تكتب اللغة الملايوية بالأبجدية العربية في الصحف والمجلات الرسمية إضافة إلى اللاتينية التي نجد فيها كثيراً من الكلمات ذات الأصول العربية، بالإضافة إلى أنها وسيلة للتعليم في بعض المدارس والكلية والجامعات الإسلامية. وعلاوة على ذلك، فإن العلاقة بين اللغة العربية وبين الإندونيسيين، في المقام الأول، هي علاقة دينية.

لقد انتشرت اللغة العربية في ولاية فطاني جنوب تايلاند؛ فمعظم السكان في هذه الولاية مسلمون يحبون اللغة العربية؛ لأن هناك مدارس ومعاهد ومساجد بنيت منذ أمد بعيد على امتداد الولاية، تُدرّس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية. كما واصل الطلاب الفطانيين دراستهم العربية في الجامعات العربية العديدة أو في الجامعات الإقليمية بماليزيا وبروناي وإندونيسيا.⁹ وعلاوة على ذلك كانت ولاية مينداناو الفلبينية تقدّر اللغة العربية وتقيم لها مكانة خاصة في أرضها. وعلى الرغم من أن ولاية مينداناو جزء من الفلبين التي تهتم باللغة تغالوغ واللغة الإنجليزية والدين المسيحي إلا أنها تعد ولاية خاصة ذات أغلبية مسلمة¹⁰ تستخدم اللغة العربية في عبادتها اليومية كما تأسست فيها إدارات ومساجد ومدارس ومعاهد إسلامية. وبالعكس من ذلك، فإن مكانة اللغة العربية في سنغافورة ليست كمكانة اللغة العربية في البلدان المذكورة؛ لأن الإسلام ليس ديناً رسمياً لها؛ ولكن هذه اللغة ما زالت تستخدم لدى من يهتمون بالثقافة الإسلامية والعربية في المدارس والمعاهد السنغافورية.

2. مكانة اللغات الإقليمية الأخرى ولغات المحتلين الأوروبيين في أرخبيل

الملايو:

تعد اللغة تغالوغ¹¹ (Tagalog) من أهم اللغات الإقليمية والمحلية في الفلبين التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الأسترونيسية. (Austronesia Families)¹² وهي لغة وطنية رسمية للفلبين منذ سنة 1937م، ويستخدمها 98% من الفلبينيين بوصفها لغة وطنية.¹³ وقد جاء في دستور الحكومة بأن اللغة تغالوغ¹⁴ واللغة الإنجليزية لغتان رسميتان للفلبين؛ أما اللغة السيامية فهي اللغة الوطنية التايلاندية، ويطلق عليها اختصاراً اللغة تاي (Thai)، وهي لغة كادية (Kadai) ويصل عدد المتكلمين بها نسبة 80% من السكان.

لقد كانت اللغة الإنجليزية اللغة المهيمنة في فترة الاستعمار البريطاني وانتشرت بشكل واسع في أرخبيل الملايو، وأدت أدواراً مهمة اجتماعية وتاريخية واستخدمت في مجالات واسعة. كما وأنها تعد لغة ثانية في بعض البلاد، مثل: مملكة بروناي وماليزيا وإندونيسيا. كما أنها تعد لغة رسمية مشتركة في بعض البلدان، مثل: سنغافورة والفلبين. أما اللغة الإسبانية التي تعد إحدى اللغات المهمة في العالم، فقد انتشرت في الفلبين تزامناً مع الاستعمار الإسباني؛ بينما استخدمت اللغة الهولندية بشكل واسع في إندونيسيا المحتلة من قبل الهولنديين. ولا تقل اللغة البرتغالية عن نظيرتها أهمية، فقد احتل البرتغاليون "ملاكا" عام 1511م، كما احتلوا الجزر الإندونيسية الكثيرة، منها: سولاويسي (Sulawesi) ومالوكو (Maluku)، وتورنادو (Ternado)، وجزر تيمور الشرقية (Timor Timur)، وبدأت اللغة البرتغالية في الانتشار. كما استقرت عائلات برتغالية وما زالت قائمة في ملاكا الماليزية وفي الجزر الإندونيسية، وهم يتكلمون بلغتهم الأم داخل مجتمعهم، ومن ثم فإنهم يتوارثونها جيلاً عن جيل، غير أنها لغة تختلف عن اللغات الآسيوية العرقية المحلية مثل الصينية والتاميلية؛ إذ لا توجد أية مدرسة عامة لتعليمها.¹⁵

لا يخفى على الآسيويين أن اللغة الإنجليزية تنافس تنافسًا شديدًا لغات أخرى في أرخبيل الملايو؛ إذ يلاحظ بسهولة في إندونيسيا والفلبين أن اللغتين الهولندية والإسبانية تتحسران حاليًا بعد فترة الاستعمار مقابل اللغة الإنجليزية التي تتقدم بسرعة في هذا المجال ويزداد تعليمها للاستفادة من جديدها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة خاصة بإندونيسيا والفلبين؛ ففي كل بلدان العالم يتم إدخال اللغة الإنجليزية بوصفها لغة تكنولوجيا وتجارة نظرًا إلى التغلغل الاقتصادي الأميركي البريطاني.

ثانيًا: عوامل الصراع اللغوي بين اللغات في أرخبيل الملايو ومظاهرها: ما من شك في أن اللغة عامل أساسي في بناء الأوطان والوحدة والانتماء، كما أنها تعد من أهم عوامل الانقسام والأزمات خاصة في الوطن الذي ينتمي سكانه إلى أكثر من لغة واحدة ودين واحد كما هو حاصل في أرخبيل الملايو بسبب عوامل نجمها في الآتي:

1. هجرات العناصر الصينية والهندية: بات من الواضح أن من أهم عوامل الصراع في أرخبيل الملايو حصول هجرات غير شرعية وناشزة، أدت إلى تغيير الخريطة اللغوية لدول كثيرة في المنطقة، كما حدث في ماليزيا وسنغافورة؛ إذ قام الاستعمار البريطاني باستجلاب الصينيين والهندوس للعمل في المطاط والقصدير وأيضًا لتمزيق النسيج الاجتماعي الملايوي المسلم؛ إذ بات يشكل هؤلاء المهاجرون الصينيون الناطقون بالصينية والإنجليزية والهنود الناطقون بالهندية والتاميلية والإنجليزية ما لا يقل عن 40% من عدد سكان ماليزيا، و75% من عدد السكان في سنغافورة. في حين لا تبلغ نسبة الملايويين المسلمين أصحاب الأرض الحقيقيين غير 60% من السكان بماليزيا، و25% في سنغافورة المنفصلة عن ماليزيا سنة 1965م.

بدأ الصراع اللغوي يتضخّم في أرخبيل الملايو، وقد ظهرت جماعات تدافع عن لغتها الأقلية، وهي تمثّل تجمعاً دينياً وعرقيًا وسياسيًا، ونضرب مثلاً لهذه الظاهرة بهؤلاء الهندوس المتحدثين باللغة التاميلية في ماليزيا وسنغافورة الذين يُعدّون من العناصر المهاجرة، وقد يكونون من الأغنياء أو الفقراء أو من التجمعات السياسية المختلفة لكن مع مرور الوقت جمعتهم اللغة التاميلية تحت رباط الوحدة العرقية والدينية والحالة نفسها تنطبق على التجمعات العرقية الأقلية الأخرى. ولا ريب في أن نزوح العناصر الأجنبية الآسيوية من الصينيين والهندوس إلى ماليزيا - علاوة على هيمنة الصينيين على المصالح التجارية في هذه البلدان - يستجلب معه الصراع اللغوي كما فصلّ خبراء علم اللغة الاجتماعي.

2. تجاور اللغات وخطر احتكاكها: لا شكّ في أن الصراع اللغوي ينشأ من تجاور أو معايشة لغات لبعضها البعض واحتكاكهما، سواء أكانت هذه اللغات لأمتين مختلفتين أم لأمة واحدة. إن الشعوب في أرخبيل الملايو ذات لغة واحدة ولكنها تتخذ لغات أخرى في بعض شؤونها الحيوية، مثل تدريس بعض العلوم وخاصة العلوم التطبيقية كالرياضيات والطب والهندسة وغيرها في المعاهد والجامعات، شأنها شأن بعض البلاد الإسلامية الأخرى. ومن ثم فرضت على نفسها صراعاً لغوياً كان بإمكانها دفعه لو أنها استخدمت لغتها الأصلية في هذه المعاهد أو تلك المصالح الحيوية.

إن المسألة الألسنية في تايلاند قد رافقت تاريخ هذا البلد الحديث؛ فالثنائية اللغوية قد نصّت عليها قوانين الدولة منذ الحكم الملكي المطلق؛ أما الولايات التايلاندية الجنوبية الأربع فهي منطقة يقطنها أغلبية المسلمين الملايويين، وإن كانوا أقلية على مستوى الوطن. وإن كفاح الأقلية الملايوية في الجنوب التايلاندي هي في سبيل المحافظة على هويتها الإسلامية ولغتها الملايوية وتراثها الديني وحرورها العربية. ومنذ قيام الدولة الملكية التايلاندية حتى الحرب العالمية الثانية كان الملايويون (الفطانيون) في أغلبهم يعملون في مجال الزراعة، وكان عدد

المتعلمين منهم قليلاً جداً بالنسبة إلى السياميين؛ ما جعل استعمال اللغة الملايوية يقتصر على سكان الولايات الفطانية الأربع؛ إلا أن الملايويين في تايلاند في النصف الثاني من القرن العشرين صاروا ينظّمون أنفسهم؛ إذ ظهرت قيادات شابة تطالب بالمساواة؛ ما أتاح ظهور حركات فطانية تدعو إلى استقلال فطاني الملايوية عن تايلاند.¹⁶

3. بداية الاستعمار: لقد جاء المستعمرون إلى هذه المنطقة بكل كوارهم اللغوية والأدبية والتخطيطية، فقام هؤلاء بأدوارهم في نشر لغتهم الأوربية عن طريق دراسة اللغة المحلية المختلفة من كل جوانبها الصوتية والمعجمية والتاريخية، ونجحوا في غزو اللغة المحلية وإدخال جوانب كثيرة من اللغات الأوربية من المفردات والكلمات والحروف اللاتينية، ونظام التحليل الصرفي والنحوي وإعداد المعاجم والدراسات اللغوية، كما نجحوا في تهميش الألفاظ العربية الكثيرة وإسقاطها من المعاجم الملايوية الرسمية، وعدت هذه الألفاظ مجرد كلمات خاصة لبعض المناطق. وقد سلك الاستعمار المسالك الآتية:

1.1 دراسات لغوية متعددة: ظهرت دراسات لغوية متعددة قام بها الاستعمار البريطاني لصالحه، فحاول خبراؤه إحصاء عدد الألفاظ العربية في اللغة الملايوية. وقد بدأ المستشرقون هذه المحاولات منذ القرن الثامن عشر الميلادي؛ لكن لم يوقفوا لعدم إمامهم التام باللغتين العربية والملايوية. وقد أورد بيچ (Beg) نتائج هذه الدراسات؛¹⁷ حيث ذكر أن هويسن (Howison) في عام 1801م استخرج 150 كلمة عربية من الملايوية، وفي عام 1902م توصل شالبيير (Shellabear) إلى 285 كلمة، تم تراجع عدد هذه الكلمات في عام 1910م على يد شويبتهم (Swettenham) إلى 219 كلمة. وفي عام 1921م، ازداد العدد بشكل متزايد على يد وينستد لنجي (Winsteadt-Linggi) حتى وصل إلى 1001 كلمة، وفي عام 1961 وضع ولكينسن (Wilkinson) قاموساً أشار فيه إلى 892 كلمة ملايوية من

أصول عربية ثم قام وينستد (Winstedt) في عام 1964م بإعداد قاموس آخر أعلن فيه عن النتيجة نفسها التي توصل إليها ولكينسن، وهي 892 كلمة. لقد أثار هؤلاء الإنجليز سلبياً في الماليزيين المهتمين بالعمل المعجمي. وقد ترتب على هذا التأثير عدم الاعتماد على ألفاظ عربية كثيرة متوغلة في اللغة الملايوية واعتبارها مجرد لهجة من اللهجات فسقطت بذلك الآلاف من الكلمات العربية المستخدمة على امتداد الوطن.

أما على صعيد الأبحاث المحلية، فقد توصل بعض الباحثين من أبناء اللغة الملايوية في دراسة الألفاظ العربية المقترضة إلى نتائج أكبر بكثير من تلك التي توصل إليها هؤلاء المستشرقون. ففي عام 1931م توصل محمد سعيد بن سليمان إلى 1725 كلمة، وفي عام 1941م أعلن حميد بن أحمد الرقم القياسي باكتشافه 2000 كلمة،¹⁸ وفي عام 1987م أعاد عمران كاسمين (A. Kasimin) حصر الألفاظ العربية المقترضة فحصل على 1679 كلمة.¹⁹

وقد بحث المجمع اللغوي الماليزي في أصول الكلمات الملايوية أثناء القيام بتأليفه قاموس الديوان (Kamus Dewan)؛ حيث وضع علامات خاصة للألفاظ المقترضة للإشارة إلى اللغة التي جاءت منها، وقد احتلت حصيلة الألفاظ العربية المقترضة في اللغة لملايوية المرتبة الثانية بمجموع 1117 كلمة فقط، بعد الإنجليزية التي بلغ عدد ألفاظها المقترضة 1556 كلمة.²⁰ ولكن هذه النتيجة التي توصل إليها المجمع لم ترض بعض الباحثين، فقد صرح عمران كاسمين أن قاموس الديوان لم يتحرر الدقة في تعيين الألفاظ العربية المقترضة؛ إذ أغفل الإشارة إلى بعض الألفاظ العربية الشديدة الوضوح، مثل: awal (أول)، وberkat (بركة) وghalib (غالب)، وhemah (همة). كما أعاد أرسل إبراهيم إحصاء الألفاظ العربية المقترضة في قاموس الديوان فاستدرك 205 كلمة لم يُشر إليها.²¹

لقد كان الملايويون كغيرهم من الشعوب الحرة في بدايتها لا يقبلون على اللغة الإنجليزية كرهاً في الاستعمار نظراً لما جلبه عليهم من سلب حرية وخيرات كانوا

ينعمون بها من قبل. وقد عبّر وليم مارسدن (W. Marsden) أثناء وضعه قاموس اللغة الملايوية (Dictionary of the Malayan Language) عام 1812م، عن استيائه لوضع اللغة الإنجليزية في منطقة أرخبيل الملايو؛ حيث ذكر أن الألفاظ الإنجليزية التي أحصاها في اللغة الملايوية في ذلك الحين لم تتجاوز خمسة ألفاظ فقط. وبعد قرن من الزمان، أعلن ولكينسن (Wilkinson) عام 1901م في قاموسه ملايو-إنجليزي (Malay -English Dictionary) عن دخول 198 كلمة إنجليزية في قائمة الألفاظ الملايوية، وهي نسبة ضئيلة جدًا تمثل 1% من مجمل الألفاظ الملايوية التي كانت تبلغ 20000 كلمة في ذلك الوقت.²²

ولكن مع بزوغ شمس النهضة العلمية والفكرية الحديثة في مطلع عصر العولمة وتسلم الإنجليزية زمام القيادة، فقد استطاعت اللغة الإنجليزية أن تفرض نفسها على العالم بأسره. ولم تكن اللغة الملايوية بدعًا عن غيرها من اللغات، فقد جرفها سيل الثورة العلمية التي رجت لأصدائها المعمورة. وبعد قرن من الصمود، انهار أرخبيل الملايو واستسلم للغزو الإنجليزي اللغوي والثقافي، وتمكنت ألفاظ إنجليزية كثيرة من التسرب طواعية إلى القاموس الملايوي. وما كدنا نصل إلى منتصف القرن العشرين حتى وجدنا أن اللغة الإنجليزية قد نجحت في بناء قاعدة صلبة في محيط اللغة الملايوية، ولم يمض وقت طويل حتى تجاوز عدد الألفاظ الإنجليزية الدخيلة عدد الألفاظ العربية²³ التي عكفت الملايوية على جمعها وتحويرها قرونًا عدة.²⁴

2.1 إدخال نظام التحليل الصرفي والتركيبي الغربي وإهمال النظام اللغوي

العربي: لقد تمَّ إدخال نظام التحليل الصرفي والتركيبي الغربي وإهمال النظام العربي السائد في أنظمة اللغة الملايوية، فتحوّلت أقسام الكلم الملايوية إلى تقسيم سباعي²⁵ يتأثر بالنحو البنيوي، أو تقسيم رباعي يتأثر بالنحو التوليدي التحويلي²⁶ كما نراه الآن في الكتب النحوية المعتمدة في ماليزيا، بعد أن كانت ثلاثة، وهي:

اسم، وفعل وحرف. وهو تقسيم تاريخي أيده العلامة اللغوي الملايوي " زَعْبَا" (Zaaba) في كتابه الموسوم بـ: مصباح اللغة (Pelita Bahasa).²⁷ كما ذهب إلى هذا التقسيم الرائد النحوي الملايوي راجَ علي الحاج (R. A. Haji) في أول كتاب نحوي للغة الملايوية كتبه ملايوي أصيل بعنوان: بستان الكاتبين Bustanul (Katibin)، سنة 1857م. وقد علّق عليه الباحث الماليزي أوانج ساريان (Sariyan) بأن نحو اللغة الملايوية بعد كتاب بستان الكاتبين بدا واضحاً أنه متأثر بالنحو العربي. بل أكد اللغوي الإندونيسي هاريمورتي كيريدلاكسانا (H. Kridalaksana) أن هيكل تقسيم الكلم للغة الملايوية حسب تقسيم راجَ علي الحاج قد تأثر بهيكل تقسيم الكلم في النظام اللغوي العربي. هذا وقد استخدم راجَ علي الحاج مصطلحات: (nama) و(perbuatan) و(harf) لأقسام الكلم الثلاثة وهو ترجمة حرفية من أقسام الكلم العربية.

3.1 ابتعاث الطلاب الملايويين إلى أوربا والقضاء تدريجياً على الحرف

الجاوي: لقد فضّل المثقفون المتشربون بثقافة غربية والمسيطرون على دوائر الدولة المصطلحات الصرفية النحوية الغربية أو السنسكريتية؛ حيث يُستخدم المصطلح (Tatabahasa) السنسكريتي (Sanskrit) -اليوم على سبيل المثال- بدلاً من مصطلح "النحو" (Nahu) العربي المستخدم من قبل. ومع ذلك فقد استخدمت اللغة الملايوية الماليزية اليوم كلا من الحروف العربية الجاوية واللاتينية، وصار يُفضّل استخدام الحروف الرومانية في كتابة اللغة الماليزية. لقد قام أصحاب الثقافات الغربية من الماليزيين بإنشاء مدارس تدرّس اللغة الإنجليزية وبعض المواد الأكاديمية في المدن الكبرى، كما بعثوا الطلبة النجباء إلى أوربا فتدربوا على علمائهم ومدارسهم وأمنوا بأفكارهم جلها أو بعضها، وطبقوها بعد عودتهم إلى الوطن. وقد آمنوا بأفضلية الكتابة اللاتينية على الكتابة العربية الجاوية السائدة فنظّموا نشاطات لغوية، كما أقاموا دورتين لغويتين باسم المؤتمر اللغوي الوطني التاريخي بماليزيا في عام 1942م و1945م؛ حيث فشلت المحاولة الأولى وأجلّت

إلى الثانية، وتمّ اتخاذ موقف من شأنه أن يسهم في تعزيز كتابة اللغة الملايوية على النمط الروماني؛ إذ أمدّت الدراسات الغربية هؤلاء المؤيدين للكتابة على النمط الروماني بمزيد من الأبحاث العلمية واللغوية التي أمكنها تقويض آراء المحافظين فنجحوا بذلك في إلغاء الحروف العربية الجاوية السائدة واحتلت مكانها الحروف اللاتينية، بالإضافة إلى أنه تمّ اتخاذ إجراءات وقرارات لغوية أخرى خطيرة، على الرغم من بقاء مملكة بروناي دار السلام وفيّة للنمط العربي في الكتابة الملايوية في بعض مجالاتها، خاصة اعتمادها على الحروف العربية الجاوية بوصفها كتابة رسمية للمملكة.²⁸

4. الدين من أهم مصادر الصراع: ما من شك في أن الدين يعد أهم مصادر الصراع في تحديد مكانة اللغة في جنوب شرقي آسيا، مع أن هذه البلدان لا تمتلك لغة دين ثابتة، لكن نجد دائماً أن كل الأديان في تلك المنطقة كغيرها مرتبطة بلغات معيّنة في مؤسسات الدولة وفي الإعلام والتقاليد، وكذلك في المساجد أو الكنائس والمعابد.²⁹

وفي جنوب شرقي آسيا جاء التصنيف اللغوي على أساس ديني لا ينحصر فقط في اللغات العربية الفصحى (الإسلام) أو اللاتينية (المسيحي)؛ لكن تبرز في الساحة أيضاً لغات أخرى، مثل: بالي، وتاميل (الهندوسية)، وتاي، وصينية (البوذية). كما نلفي اللغات الملايوية الوطنية والعربية الخاصة بالمسلمين، والصينية الخاصة بالصينيين والهندية الخاصة بالهنود، واللغة العرقية الخاصة بالأعراق المعينة واللغة الإنجليزية التي يتحمس لها الكثيرون. كل هذه اللغات في أرخبيل الملايو تتصارع فيما بينها للحصول على استحقاقات أكبر في المنطقة، وقد تحوّل هذا الموضوع إلى مسألة في غاية الحساسية، انقسمت حولها الآراء؛ حيث انتهت ماليزيا إلى الفتنة الطائفية الدامية في 13 مايو 1969م.

ثالثاً: خطورة هيمنة اللغة الهولندية واللغة الإنجليزية: كانت اللغة الهولندية والإنجليزية في أرخبيل الملايو قبل الاستقلال تشكّل عاملاً حاسماً لتأهيل المواطنين للحصول على الشهادات المدرسية، وللاتحاق بالمؤسسات التعليمية العالية والحصول على المنح الدراسية، وكذلك الحصول على فرص العمل في المصالح الحكومية. وهي خاصة كانت تتمتع بها اللغة الإنجليزية والهولندية؛ أما اللغة الملايوية فلم تكن تؤدي دوراً ملموساً حتى في المدارس الابتدائية إلا في المناطق القروية. بينما نجد المدارس الهولندية والإنجليزية قد نشأت في المدن الكبرى وفي مناطق يقع معظمها في الجهة الغربية من ماليزيا في الحدود مع سنغافورة وعواصم إندونيسيا وبروناي دار السلام والمدن الكبرى التي تسكنها طبقات مرموقة من المواطنين. وبما أن هذه المدارس لا تتواجد في المناطق القروية، فلم يكن يلتحق بها أبناء الملاويين العاديين. ونتيجة لهذا الوضع، انقسم المواطنون انقساماً طبقياً لغوياً خطيراً.

إن الصينيين القاطنين في المدن ألحقوا أولادهم بالمدارس الإنجليزية والهولندية؛ أما الملايويون في القرى فقد ألحقوا أبناءهم بالمدارس الوطنية، بينما نجد الصينيين القرويين قد ألحقوا أبناءهم بالمدارس الصينية المعروفة، كما أن الهنود حولوا أولادهم إلى المدارس التاميلية. من هنا جاء التمييز والتقسيم بين المواطنين داخل الوطن الواحد؛ أي بين الملايويين أصحاب الأرض الحقيقيين القاطنين في القرى، وبين الصينيين المقيمين بالمدن ممن استجلبهم الاستعمار. بل انقسم الملايويون أنفسهم بين هؤلاء القاطنين بالمدن وضواحيها، وغيرهم من القاطنين بالقرى والأرياف.

من جانب آخر، نلفي المدارس الإنجليزية والهولندية كانت تقدّم فرصاً واسعة للتعلم إذ امتدت المدارس من هذا النوع من الابتدائية الأولى مروراً بالإعدادية والثانوية والعالية وقد تنتهي بالجامعات. بينما لم يحصل الطلاب الدارسون باللغة الملايوية قبل الاستقلال على فرص الدراسة إلا في السنة السادسة الابتدائية فقط

وكانوا يعانون صعوبات بالغة لالتحاق بالمدارس الثانوية والجامعات التي كانت تستعمل لغات غير اللغة الأم.³⁰

أدت هذه الاستيراتيجية الخطيرة التي طبّقها المستعمر الإنجليزي إلى انقسام خطير بين الجنسيات، أو كما عبرت عنه الخبيرة اللغوية أسمه عمر بقولها: "لقد كانت بمثابة البركان الذي تحترق جذوره في داخل الأرض وكان ينتظر ساعة الانفجار في أية لحظة مناسبة".³¹ فالاستعمار الإنجليزي قسّم نظام المدارس إلى أربعة أنظمة لغوية؛ إنجليزية وملايوية وصينية وتاميلية، ومن ثم تحقق ذلك التقسيم العنصري واللغوي، نجم عنه تنويع اللغة الإنجليزية بوصفها اللغة الوحيدة التي ترفع من مستوى المرء اجتماعياً واقتصادياً، وتهيئ له مستقبلاً مضموناً؛ إذ من شأن ذلك أن يجعل المواطنين يتنافسون فيما بينهم لدراستها رغباً ورهباً.³²

وقد سجلت أسمه عمر بأن معظم الميزانية الحكومية المخصصة للتعليم بماليزيا ذهبت إلى المدارس الإنجليزية، وليست إلى المدارس الملايوية، وهذا واضح لمن يطلع على الموثائق التعليمية حينذاك خاصة التقارير المعروفة بـ " A Summary Report"³³ الصادرة من الوزارة التعليمية لعام 1983م والتي تنص على أن 83% من الملايويين بعثوا أولادهم إلى المدارس الوطنية، بينما تميل الطبقة الميسرة منهم خاصة بالمدن إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس الإنجليزية المعروفة بالتفوق الأكاديمي للأسباب المادية، ونظراً إلى التسهيلات وهيئة التدريس والبنية التحتية وغيرها.³⁴ وكل هذا التمايز يزيد من تأجيج الصراع اللغوي، لاسيما وأن اللغة الإنجليزية ما زالت تتمتع بمكانة عالية حتى اليوم؛ إذ إنها تعد لغة ثانية إجبارية يجب تدريسها لجميع التلاميذ والدارسين في ماليزيا بخاصة وفي أرخبيل الملايو بعامة.

وفي ظل هذا الوضع لإثبات الهويات قام نوع آخر من المدارس الدينية أنشأها العلماء المسلمون الواعون بخطر التبشير المسيحي حفاظاً على عقيدة الأمة. وقد قامت هذه المدارس الدينية باستعمال اللغة العربية أو الكتابة الملايوية الجاوية

القديمة لتدريس طلابها اللغة العربية والمواد الدينية، مثل: الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والأخلاق وغيرها، بحيث يواصل الخريجون فيها دراساتهم العليا في البلدان العربية والإسلامية وجامعاتها المختلفة.³⁵

رابعاً: حلول مقترحة لمشكلة الصراع اللغوي بأرخبيل الملايو: اللغة عامل

أساسي في احترام الجماعات الطائفية للوطن، فهي التي تقوّي الشعور بالانتماء إلى الوطن، وتُتمّي الحاجة إلى التعاون بين المواطنين، وتربط الفرد بأسلافه وتراثه وتساعد على تطوير النظام التعليمي بحيث تتاح للجميع فرص التعلم.³⁶

لا بد هنا، من أن نقترح حلاً ناجعاً لهذا الصراع اللغوي الخطير. ونعتقد ابتداءً على السلطة أن تبدي محاولة جادة عبر التخطيط اللغوي لإيجاد الحلول المناسبة لمسائل اللغة في المجتمع، بحيث لا ينحصر التخطيط اللغوي بعمل الحكومة فقط وإنما بإمكان مؤسسات وأجهزة تمكّنها السلطة من القيام بهذه المهمة الكبرى؛ إلا أن عمل الحكومة يبقى دائماً عملاً أساسياً في هذا المجال. وفي المنطقة الملايوية أولت الحكومات الملايوية الثلاث بماليزيا وبروناي وإندونيسيا اهتماماً بالتقريب بين اللغات الملايوية الماليزية والإندونيسية والبروناوية وتوحيد الكتابة والإملاء تحت مشروع ما يسمى بـ "مجلس اللغات الماليزية والبروناوية والإندونيسية المشتركة (MABIM)". وفي بروناي ألزمت الحكومة المؤسسات الرسمية اعتماد الكتابة العربية الجاوية، كما التزمت الحكومة بجمهورية إندونيسيا بدعم اللغة الملايوية لأسباب تعود إلى صراع اللغات ضمن الاتحاد الإندونيسي. تجدر الإشارة إلى أن تسلّم الحكومات لملف التخطيط في المجال اللغوي ليس فيه ضمان أكيد في أن التخطيط سيؤدي إلى النتائج المرغوبة فيها. ومحاولات الحكومات الماليزية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي للاستغناء عن الرسم الكتابي العربي الجاوي خير مثال على فشل السياسة اللغوية.

ومن ثم نعتقد أن أهم الخطوات لتقديم الحلول لهذه الإشكالات اللغوية هي على

النحو الآتي:

1. مواجهة الصراع اللغوي من خلال مبادئ التخطيط اللغوي السليمة:

يستدعي التخطيط اللغوي دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل، ووضع خطط العمل وتقييمها والالتزام بالخيار المناسب وتنفيذ الخطط، ومراقبة النتائج. لذلك ينبغي على المسؤول عن التخطيط أن يلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله وأن يتحرى المشكلات اللغوية ويقف على خطورتها، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع. أمام هذا الواقع يثور السؤال الآتي: ما هي خيارات اللغويات الاجتماعية المطروحة أمام الدول بأرخبيل الملايو تجاه هذا الواقع؟ على الرغم من أن تفاصيل التخطيط متنوعة من بلد إلى آخر، فغالبًا ما يأخذ هذا التخطيط أحد الاتجاهات منها:³⁷

أ- اتجاه سلبي يتمثل في محاولة إزالة كل اللغات باستثناء لغة واحدة أو لغتين. وهذا الاتجاه يهدف إلى إزالة التعددية اللغوية وإلى دمج الأقليات لاسيما الإسلامية في بوتقة الثقافة الوطنية الواحدة. وهذا للأسف طُبِّقَ حديثًا في جنوب تايلاند حيث تتواجد الأقلية الإسلامية الملايوية الفطانية وذلك على حساب اللغة الملايوية والعربية المنتشرة في ولايات جنوب تايلاند.

ب- الاعتراف بالتعددية اللغوية، والمحافظة على اللغات الأساسية في إطار الدولة وتبني لغة واحدة رسمية تخدم التواصل بين المقاطعات في داخل الدولة الواحدة. وهذا الاتجاه يعترف بالتعددية الثقافية كطابع تتسم به الدولة، وتسلك الدول الملايوية الثلاث-ماليزيا واندونيسيا وبروناي- هذا الاتجاه الإيجابي الذي يحاول أن يتوافق مع التخطيط اللغوي والتركيبية اللغوية الوطنية. هذا الاتجاه يحاول إقامة المساواة بين المجموعات اللغوية التي تتكون منها البلاد.

2. تحديد الاستحقاقات اللغوية: لقد وعى رجال السياسة أهمية الصراع اللغوي

في قيام الدول كما أشار إلى ذلك بوضوح فخته (Fitché). إن التخطيط اللغوي

الناجح الذي يتناسب مع تطلعات الشعب في أرخبيل الملايو، يستدعي ابتداء وضع خطط العمل المنصفة وتقييمها والالتزام بالخيار المناسب على النحو الآتي:

1.2 إقرار اللغة الملايوية لغة وطنية: ينبغي على المسؤولين السياسيين في

أرخبيل الملايو أن يلموا بأهمية اللغة الملايوية في المجتمع، وأن يقوموا بتشخيصها قبل البدء بالعلاج، وأن يدرسوا العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسائل اللغوية في هذا المجتمع المتعدد اللغات. وهذا ما يحدث في أرخبيل الملايو حيث اعترضت الأقليات الملايوية المسلمة في جنوب تايلاند والفلبين وسنغافورة عن تهميشها لما شعروا بنقل الاضطهاد اللغوي؛ إذ ما فتئت تلك الحكومات من حين لآخر-تسعى إلى استئصال الثقافة العربية والملايوية وهويتها الإسلامية من التعليم والدوائر الرسمية والحيوية.

كان دستور ماليزيا سنة 1957م (Perlembagaan Malaysia) قد نصّ على أن اللغة الوطنية هي اللغة الملايوية؛ ولكن الدستور نفسه لا يمنع أي ماليزي من أن يتعلّم أية لغة بينا كولارية (Vernacular) أو عرقية كاللغة الصينية والتاميلية. وقد استكمل هذا النص الدستوري بقرار لغوي آخر جاء في سياق قرارات اللغة الوطنية لعام 1963/1967م المعروفة بوثيقة اللغة الوطنية (Akta Bahasa Kebangsaan). وينص قرار رزاق لعام 1956م (Penyata Razak 1956) على أن اللغة الوطنية هي التي تستخدم في مجال التعليم والتعلم. فضلاً عن ذلك جعلت الحكومة الماليزية مادة اللغة الماليزية مادة إجبارية في قرار رحمن طالب لعام 1960م (Penyata Rahman Talib 1960).³⁸ فاللغة الوطنية في ماليزيا وإندونيسيا وبيروناي هي اللغة الملايوية.³⁹

هذا وقد أسست الحكومة الماليزية المجمع اللغوي الماليزي الذي سمي بمجمع اللغة والكتب (Dewan Bahasa dan Pustaka))، وكان الهدف من تأسيسه هو إثراء اللغة الوطنية بالمفردات والثروات اللغوية الجديدة وتطويرها، وتقديم المهارات الأدبية في اللغة الوطنية، ونشر الكتب والمجلات والمقالات في اللغة

الوطنية، وما إلى ذلك. وهو بذلك يتخذ خطوات عديدة لتحقيق الأهداف المرجوة منها: تأسيس المكتبة اللغوية، ونشر المجلات الشهرية، وإقامة حملة اللغة الوطنية وتوفير الهدايا لمسابقة الكتابة باللغة الملايوية، كما قام المجمع بتدوين المصطلحات العديدة وتأليف القواميس.⁴⁰

إن النظرة إلى الدستور الماليزي الموضوع سنة 1957م كافية لأن تظهر بوضوح موقف الحكومة الماليزية من إقرار اللغة الملايوية مع الإبقاء في الوقت نفسه على اللغة الإنجليزية؛ ففي المادة 72، ينص البند الأول على الآتي: ستكون اللغة الرسمية للاتحاد هي اللغة الملايوية وسيكون الشكل المستعمل في المعاملات الرسمية في الاتحاد كما جاء في شكل الحروف الملايوية العالمية.

2.2 التخطيط للغة العربية والاهتمام بها بوصفها لغة دينية: إن وجود أمة

ملايوية قائمة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل وذات تقاليد وأعراف وطبائع نفسية وسلوكية مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغة هذه الأمة، بل مرتين بحياة هذه اللغة أو موتها. تأتي هذه الشخصية الحضارية لتعزيز أهمية اللغة العربية للملايويين نظراً إلى ارتباط اللسان العربي بالملة الحنيفية دين الإسلام. ولا غرو فقد جاءت خاتمة رسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مبين، وقد كانت هذه الرسالة هي الدين الذي أراد الله سبحانه ظهوره وهيمنته في الأرض على سائر الملل والأديان الأخرى، بل حذر الله البشرية من التعبد بسواه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85)، فكان -كما هو معلوم- أن نزل القرآن بلغة العرب.

ومن هنا يمكن القول أن أية محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيل منها يصطدم بالمجتمع ويصيرُه مجتمعا ضائعا وفاشلا. ولهذا من الخطأ الفادح مزاحمة اللغة الوطنية والعربية الدينية باللغات الأخرى في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على العموم والملايوية على وجه الخصوص. فليس هناك مبرر يجعل اللغات

الأخرى تُفرض في المدارس على جميع الطلبة وعلى غالبيتهم، وفي كل المستويات.

إن الحكومة الماليزية لا تمنع الماليزيين من أن يتعلموا لغات أخرى أو يتكلموا بها شريطة ألا يهملوا اللغة الوطنية. وقد أجازت الحكومة - حسب قرار خاص يتعلق باللغة الوطنية 67/1963- ما نصه: "يسمح للماليزيين أن يكتبوا بالحروف العربية واستخدام أرقامها".⁴¹ ومن هنا بدأت خطوات في تحسين وضع اللغة العربية في ماليزيا، وما زالت هذه الخطوات مستمرة ومثمرة.

إن اللغة العربية تؤثر في مجال التربية أكثر من مجالات أخرى. وتعد اللغة العربية إحدى المواد الدراسية في المدارس الحكومية المركزية والمدارس الأهلية وغيرها. وقد دخلت مادة اللغة العربية في نظام التربية الماليزية بعد أن أعتد مشروع "إسلامية المعارف والعلوم" (Islamization of Knowledge)، انبثق من تقرير مجلس الوزراء لعام 1971م " (Laporan Kabinet 1971)، وكان التقرير يدعو إلى وضع المحتويات الإسلامية والقيم الأخلاقية الكريمة في نظام التربية في ماليزيا. وفي هذا الصدد رأى الأستاذ المبرز كمال حسان - مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الأسبق - " أن اللغة العربية تعدُّ عنصراً من عناصر أسلمة التربية في ماليزيا".⁴² وفي الواقع أنها تُدرّس لأجل فهم القرآن الكريم والحديث الشريف والإحاطة بأمهات الكتب التراثية الإسلامية والاستفادة منها.⁴³ ولها أهمية كبرى في الاتصالية العالمية وإتقان مهارتي القراءة والكتابة.

طبعاً لا تُدرّس اللغة العربية في كل المدارس الابتدائية والثانوية؛ لكن تُدرّس في بعض المدارس الثانوية الدينية والعربية، كما تُدرّس في بعض المدارس غير الدينية المختارة كالمدراس الحكومية اليومية. وبما أنها تنتظم وزارياً مع المدارس الحكومية المركزية فهي تتبع المنهج الذي وضعته وزارة التربية، كما تشارك في الامتحانات الوطنية المركزية المختلفة كالامتحان الثانوي المتوسط (PMR) والشهادة الثانوية العامة الماليزية (SPM)، والشهادة العالية المدرسية الماليزية

(STPM)، والشهادة العالية الدينية الماليزية (STAM). كما بذلت وزارة التربية الماليزية جهداً عظيماً في الآونة الأخيرة- في إعداد مادة اللغة العربية لجميع تلاميذ المدارس الابتدائية الحكومية.

ينقسم برنامج اللغة العربية في الجامعات إلى برنامج اللغة العربية للمتخصصين وبرنامج اللغة العربية لغير المتخصصين. إن المراد باللغة العربية للمتخصصين هو حصول أصحابها على شهادة في اللغة العربية وآدابها سواء أكانت هذه الشهادة في مرحلة البكالوريوس أم الماجستير أم الدكتوراه. وهذا البرنامج يُدرّس في الجامعات الحكومية المركزية وغيرها، ومن تلك الجامعات الحكومية نجد الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا (IIUM)، والجامعة الوطنية بماليزيا (UKM)، وجامعة بوترا الماليزية (UPM)، وجامعة ملايا (UM)، وجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) وجامعة السلطان زين العابدين (UNISSA) بولاية ترجانو، ومعاهد المعلمين الماليزية (IPGM). كما تُعدُّ الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا والجامعة الوطنية وجامعة ملايا والجامعة الوطنية برامج اللغة العربية في مراحلها الشاملة؛ البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وأما جامعة بوترا وجامعة السلطان زين العابدين فتعدان اللغة العربية لمرحلة البكالوريوس ((الليسانس)) فقط. وإلى جانب ذلك، نجد الماليزيين يدرسون اللغة العربية في الجامعات أو الكليات شبه الحكومية أو الأهلية التي تُصدر شهادات البكالوريوس الليسانس في اللغة العربية بالتعاون مع الجامعات العربية المختلفة، منها: الكلية الجامعية الإسلامية (KUIS) بولاية سلانجور دار الإحسان (Selangor)، والكلية الإسلامية بولاية جوهر (Johor) والكلية الإسلامية العالمية (KIAS)، بولاية كلنتان والكلية الإسلامية (IKIP) بولاية باهنج (Pahang) وغير ذلك. وقد درّست اللغة العربية في الجامعات- لغير المتخصصين، فيدرسها الطلبة بوصفها إحدى متطلّبات التخرج أو بوصفها مادة إضافية أو مادة ثانوية. وكل الجامعات الحكومية

المذكورة تعد برنامج اللغة العربية لغير المتخصصين.

خلاصة القول فإنه ينبغي علينا ألا نكتفي بالاستحقاقات العربية الحالية، بل يجب علينا أن نسعى جاهدين لتخطيط الفرص العديدة للغة العربية في عصر العولمة والتغلب على الإشكالات التي تعترض سبيلها، وذلك مع الاعتراف بأن (التعدد اللغوي المنظم)⁴⁴ قد أسهم في تنمية أرخبيل الملايو لا سيما ماليزيا.

خاتمة: لقد طوّحنا في أرخبيل الملايو المتعدّد الثقافات والديانات، وأبرزنا المشكلة اللغوية، سواء لغة الملايو أصحاب الأرض أم اللغة العربية التي هي لغة الإسلام الذي ابتغاه الملايو ديناً لاسيما في ماليزيا وإندونيسيا وبروناي وפטاني وبعض الأقليات في سنغافورة والفلبين، أم اللغة الدخيلة التي رافقت الاستعمار الإسباني والبرتغالي والهولندي والإنجليزي لأرخبيل الملايو. رأينا كيف كانت اللغة العربية ذات قيمة دينية سعى الاستعمار الأوربي إلى استئصالها؛ حتى أنه نجح في أن جعل لغة الملايو لا تكتب وفق النمط العربي من اليمين إلى اليسار (اللغة الجاوية)، بل تحوّلت إلى الكتابة وفق النمط اللاتيني من اليسار إلى اليمين، واستقرّ الأمر على ذلك ما بعد الاستقلال؛ ولكن على الرغم من هذه الهزائم اللغوية الملايوية والعربية، فقد تعالت أصوات ملايوية تنادي بإحياء اللغة العربية للحفاظ على دينهم الذي توارثوا نصوصه بالخط الجاوي، لا سيما مع بروز سياسة إحياء الأعراق الصينية والهندية لديناتهم والاهتمام بلغتهم في مناطق ذات أغلبية مسلمة.

كما وجدنا أن الملايويين يعتقدون أن اللغة الملايوية هي لغة دين مرتبطة في جزء كبير منها باللغة العربية، ومن ثم أنشأوا مدارس ومعاهد للاهتمام باللغة العربية بشكل رسمي تحت رعاية الحكومات الماليزية والإندونيسية والبروناوية وذلك من منطلق الحفاظ على اللغة العربية الذي هو طريق أفضل للحفاظ على التراث الثقافي والعلمي والمعرفي الملايوي المكتوب باللغة العربية، والعمل على إحيائه وانتشاره؛ لأن اللغة العربية باتت جزءاً من هوية الملايويين، فهم يقرأون القرآن الكريم باللغة العربية ومن ثم يمتحون أحكامهم التي تنظم حياتهم

العامة والخاصة، وهي أيضاً تمثل لهم عنصراً مهماً من عناصر التحدي الذي يشرعونه في وجه أطماع الأعراق المتعايشة معهم، علاوة على العولمة التي جعلت اللغة الإنجليزية مرتكزاً حيويًا وخطيراً في حياة الملايو الفكرية والمادية وتكاد هي الأخرى تعصف باللغة العربية والتراث الملايوي.

من نتائج البحث ما يأتي:

1- اللغة الملايوية بوصفها لغة سيادية، لا يمكن المساومة حيالها أمام لغات الاستعمار، لا سيما أنها لغة دين أسهمت في توحيد أرخبيل الملايو، وطرده الاستعمار المتعدد اللغات والثقافات.

2- اللغة العربية جزء لا يتجزأ من اللغة الملايو، كونها تعد حافظة أمينة للتراث الملايوي لا سيما الديني.

3- وعي حكومات أرخبيل الملايو بأهمية اللغة الملايوية في ظل الغزو الثقافي الأمريكي والإنجليزي، وذلك للحفاظ على شخصية الأمة الملايوية، علاوة على إحياء تراثها الديني؛ إذ تعد اللغة العربية بنيتها، لا سيما في ماليزيا وإندونيسيا وبروناي.

4- تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية يعد مقترحاً حكومياً استراتيجياً للحد من الانتشار المنظم للغة الإنجليزية التي لا تعد لغة دين، بل لغة استعمار ما زالت تشكل خطراً على الهوية الملايوية.

الهوامش والمراجع:

(1) Noss, Richard B: *An Overview of Language Issues in South– east Asia 1950–1980*, Oxford University Press, Singapore, 1984 in Abdullah Hassan (Translator), *Perancangan Bahasa Di Asia Tenggara* , DBP& KPM 1989 , p19.

(2) Ibid, p19.

(3)Oxford University Press, Kuala Lumpur, 1967.

(4) Karim, Nik Safiah, et al: *Tata bahasa Dewan*, DBP, 1992: 1/12. Mees, C.A: *Ilmu Perbandingan Bahasa– Bahasa Austronesia*,

(5) Ibid, 1992: 1/12.

(6) Ibid, 1992: 1/19.

(7) العبودي، محمد بن ناصر: زيارة لسلطنة بروناي دار السلام، الرياض: دن.، ط2، 1985م ص19.

(8) شاکر، محمود: إندونيسيا، بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م، ص 78-80.

(9) سوجيمون، محمد معصوم، وآخرون: "الشيخ داود فطاني وإسهاماته في نشر العلوم الإسلامية بماليزيا"، في: دراسة عن نخبة المفكرين الملايوين، مركز البحوث: الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2005م، ص47.

(10) المرجع السابق، ص 58.

(11) Omar, Asmah and Noor Ein Mohd, National Language Medium of Instruction, Kuala Lumpur: DBP and KPM 1981, p 93.

(12) Campbell, George L.: *Compendium of the World's Language*, London: Routledge, Vol.2, 1991, p1301.

(13) Berita Harian, 25 Desember 2003, p 1–2.

(14) Asmah and Noor, National Language Medium of Instruction, p 200.

(15) ما زالت اللغة البرتغالية منتشرة في الجزر الإندونيسية الكثيرة التي سبق لهم احتلالها منها؛ سولاويسي، ومالوكو، ووتورنادو، وجزر تيمور الشرقية التي استقلت عن إندونيسيا. وهذه المناطق تشكل بؤراً لأعمال العنف المتكررة.

(16) شهاب، محمد أسد: *إندونيسيا المعاصرة*، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر 1971م

ص 50-51.

- (17) Beg, M.A.J.: Arabic Loan-words in Malay: A comparative Study, The University of Malaya Press, Kuala Lumpur, 1979, p 81.
- (18) Karim, Nik Safiah: Pendahuluan, Unsur Bahasa Asing Dalam Bahasa Melayu, Siri Monograf Sejarah Bahasa Melayu, Kuala Lumpur: DBP, 1996, P: xi.
- (19) Kasimin, Amran: Perbendaharaan Kata Arab Dalam Bahasa Melayu (Bangi: University Kebangsaan Malaysia, 1987, p 23.
- (20) Ibid, p 23.
- (21) إبراهيم، أرسل: "التطور الدلالي في الكلمات العربية المقترضة في اللغة الملايوية" رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 1994م، ص 189.
- (22) Hsia, Camel Heah Lee: The influence of English on the Lexical of Bahasa Malaysia (Dewan Bahasa dan Pustaka, Kuala Lumpur, 1989), p 52.
- (23) Hendershot, V.: First Year of Standard Malay, California: Pacific Press Association, 1943).
- (24) انظر الألفاظ المقترضة في الملايوية التي قام بإحصائها قاموس الديوان.
- (25) هذا التقسيم من أسمه عمر التي تأثرت بالنحو البنيوي؛ إذ طبّقه في النحو الملايوي في كتابها: وقد جاء تقسيمها حسب المباني وحدها، انظر:
- Omar Asmah Hj: 1975, Essays on Malaysian Linguistics: An Introduction to Malay Grammar, p 172
- (26) انظر: Sariyan, Awang: Warna dan Suasana Perancangan Bahasa Melayu di Malayasia (Kuala Lumpur: DBP, 1994 p 186.
- (27) بالعربية "مصباح اللغة الملايوية". وقد تأثر المؤلف المعروف بالفيلسوف "زعبا" في تقسيمه للغة العربية التي تتغلغل في اللغة الملايوية. ولا يخلو من التأثير بنحو اللغة العربية ومنه استخدام مصطلحي: Nahu و Ayat للدلالة على النحو والجملة.
- (28) العبودي، زيارة لسلطنة بروناي دار السلام، مرجع سابق.
- (29) Noss: An Overview of Language Issues in South- East Asia 1950-1980, p 23.
- (30) Omar Asmah: Pengantar Pengajaran Bahasa Malaysia, DBP, Kuala Lumpur, p 4.
- (31) Ibid, p 5.
- (32) Ibid, p 5.

(33) Ibid, p 6.

(34) Ibid, p 7.

(35) سوجيمون، "الشيخ داود فطاني وإسهاماته في نشر العلوم الإسلامية بماليزيا"، في: دراسة عن نخبة المفكرين الملايوين، مرجع سابق، ص45.

(36) الوافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ط5، 1962م، ص18-19.

(37) See: Joan, Rubin: "Evaluation and Language Planning", In J.A. Fishman (ed), **Advances in Sociology of Language**, New York: Mouton, 1968, vol II.

(38) Hassan, Abdullah: 30 Tahun Perancangan Bahasa Malaysia , Kuala Lumpur: DBP, KPM, 1989, p 14.

(39) Yusoff, Ahmad Mohd, et al: Laporan Kaji Selidik Penggunaan Bahasa Melayu dalam Bidang Kehakiman dan Undang- undang Bank, Kuala Lumpur: DBP & KPM, 1992, p 232 .

(40) Hassan, Abdullah: Isu- Isu –Perancangan Bahasa: Pengintelektualan Bahasa Malaysia (Kuala Lumpur: DBP & KPM, p 36.

(41) Hassan, 30 Tahun Perancangan Bahasa Malaysia, p 44.

(42) Saad ,Ibrahim, Isu Pendidikan di Malaysia, Kuala Lumpur: DBP, & KPM, 1990 , p 340.

(43) Tajul Arifin, b. Noordin and Nor Aini bt. Dan, Pendidikan dan Wawasan, 2020 (Kuala Lumpur: Arena Ilmu Sdn Bhd, 1992, p 8.

(44) انظر: يوسف، ناصر، وآدم، زليكا: "التعدد اللغوي ودوره الحضاري في تنمية ماليزيا: دروس مستفادة عربياً وإسلامياً"، مجلة الإسلام والعالم المعاصر، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2014م.